رفيقتي في الجنة

اســـــم الكتـــــاب: رفيقتـــــي فـــــي الجنـــــة

التـأليـــــــــــف: لميـــــاء أحمـــــد عثمـــــان

مراجعـــة وإخـــراج ة: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)

رقــــم الإيـــداع: 2021/ 26481

التـــرقيم الـــدولي: 978-977-835-270-2

الناشــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

Facebook دار زحمة كتاب للنشر

Email za7ma.kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

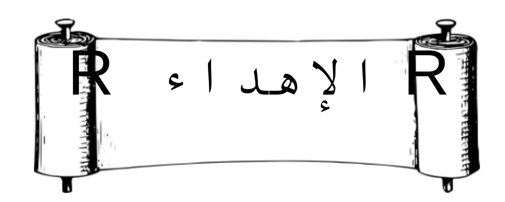
002 01100662595



رفــيقــتي فــي الــجنـة

لــمـيــاء أحـمـد عـثـمـان





إلى كل أمٍّ تجد صعوباتٍ في تربية أبنائها،

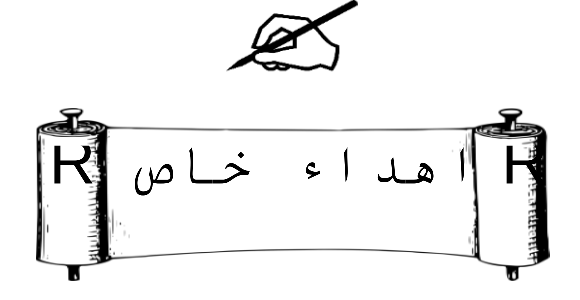
وتُلام دائمًا على تصرفاتهم.

إلى كل مَن تريد أن ترافقَ أولادها في الجنة

وتكون لهم بعد الله عونًا على الحياة.

بين هذه الصفحات ستتعلمين كيف تكونين

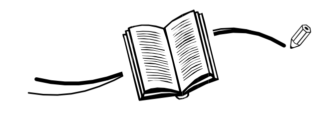
رفيقة لهم في الجنة.



إلى كلّ من فقد أمه وتذوق آلام الحياة دون يدٍ حانية تربت فوق كتفه.

إلى رفيقتي -إن شاء الله- في الجنة،

جنتي (أمي).



الـمقـدمـة

لم يكن أمرًا سهلًا أن تتركي بصمةً بحياة أبنائك فيتذكرونكِ كلما دقت قلوبهم، وكأنكِ تسكنين داخلهم.

جميعنا لدينا أمهات، أو ولدنا من دونهم، لكن قليلون مَن رسخوا بأبنائهم كافة القيم وكانوا مثلًا أعلى للجميع.

في هذه الوريقات سنتعلم كيف نربي أولادًا صالحين فأهم ما يتبقى لك بعد وفاتك هو (ولد صالح يدعو لك، يتذكرك بكل خطوة يخطوها بحياته).

والفتاة الصالحة تدخل أبويها الجنة فهي كالبنيان في كل مرحلة ترسخ بها ثوابت وقواعد يندرج تحتها ما ستقوم به طيلة حياتها.

لن أطيل عليكم الحديث هيا لآخذ قلوبكم في رحلة مع الحياة لنتعلم كيف نربي أبناءنا بشكل سليم.

*****

في قاعة كبيرة اجتمع مجموعة من الأصدقاء الذين ابتلاهم الله بفقد أمهاتهم وقرروا أن يتجاوزوا هذه المحنة معًا ليحكي كل منهم عن عظمة والدته، وكيف وضعتْ بقلبهِ بذرةً صالحةً لتخلد حبها بقلبه لتكون مثالًا لكل أمٍّ أن تكون أمًّا صالحة.

هيا نبدأ معًا بأولى هذه الصديقات وهي (رهف)

أولًا: فقد الأم

((تجارب حدثت بالفعل لأناسٍ فَقَدَ كلّ منهم أمه))

البداية

تروي رهف هذه الكلمات، والدمع محتبسٌ بطرف عينيها.

دون أي مقدمات، أنا لطيمة الأم، بعد سنوات من حزني وعدم استيعابي لفقد أمي قررت أن أتجاوز كل ذلك وأدون جراحي لأشارككم إياها، فأنا فتاة في الثالثة والعشرين من عمري، أعيش وحيدةً بمنزلٍ مع والدي وأخي الأصغر.

اليوم قررت أن أروي لكم كيف قررت أن أساعد والدتي على الارتقاء من مكانتها إلى مكانة أعلى في الجنة -إن شاء الله-.

جميعنا يعشق والدته لكن عشقي لها من نوعٍ آخر وكأننا روح انقسمت نصفين؛ أشبهها تمامًا في مظهرها، وملامحها، وهيئتها، حتى صوتي تمامًا مثل صوتها، والآن وأنا أتقمص وجودها سأضع نفسي محل كل أم رزقت بفتاة لأعلمها كيف تجزى بالجنة من خلال هذه الهدية الربانية، فمن يحسن تربية فتاة تأخذه إلى الجنة لتكون جنتك مثلما أنت.

كنت في خطوات الصلاح بطفولتي، حين أتوجه لسريري في المساء نبدأ معًا بتلاوة بعض الآيات القرآنية ونختتم هذه الجلسة القرآنية بسورة الفاتحة. حين تعلمت القراءة تعجبت لمَ دائمًا ننهي بها يومنا وهي أول سورة في المصحف الشريف، سألتها وظل جوابها يتردد بأذني كل ليلة منذ وفاتها حيث قالت:

- هذا وعدي لأمي يا رهف؛ سألتني أن أقرأ لها الفاتحة كل ليلة وأنا لم أكن أعلم هل هذا حقًّا صحيحٌ أم لا، فقط أشعر بالطمأنينة وأنا أنفذ ما وعدتها به، هناك كثيرون يقولون إن الدعاء للميت أفضل بكثيرٍ من قراءة الفاتحة أو إنه لا يجوز؛ ولهذا بعد أن أخلد للنوم أبدأ بالدعاء لها كل ليلة وأناديها وقلبي يعتصر حتى تأتي روحها لي مبتسمة وأنا على مشارف النوم، تبتسم في وجهي فيطمئن قلبي كلما نطقتُ جملة الختام ليومي التي علمتني إياها وهي "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله".

ابتسم بحزن، طالما قالت لي: انطقي التشهد كي يكون معكِ تصريح لدخول الجنة، فالتشهد قبل النوم بمثابة تصريح.

تخيل أنك تدخل مكانًا ومعك تصريح دخول حتما ستدخل بكل سهولة ويسر.

في الصباح نستيقظ ونحن نردد: اللهم إنا نسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، ثم يدخل كل منا دورة المياه ثم يتوضأ لنبدأ يومًا جديدًا ونصلي معًا ركعتين.

لم تمنعني والدتي وأنا في هذا السن أن أرتدي فساتينَ جميلةً مثل الفتيات اللاتي في نفس عمري؛ كنت أرتدي ملابسَ جميلةً جدًّا وأزين شعري بأطواق من الورود بل بالعكس كانت سعيدة وهي تراني طفلة سعيدة.

في يوم الجمعة ذهبنا إلى بيت العائلة وتعرضت أمي لسخريةٍ ونقدٍ كبيرين جدًّا من زوجات أعمامي وجدي وكأنّهم اتحدوا جميعًا ليثبتوا لها أنها لم تحسن تربيتي وأننا نسير في الطريق الخطأ وأنها ستجعلني فتاة متمردة متعددة الأوجه، لكن ما قالته أمي جعلهم يصمتون تمامًا وكأنهم جميعًا قد ابتلعوا ألسنتهم.

ابتسمت أمي بخذلان قائلة:

- إذا لم أسمح لها بالعيش كطفلةٍ ستكون امرأة متصابية؛ تتلهف لكل ما فاتها، لم أمنع ابنتي من أي شيء في الدنيا، فقط أعلمها كيف تعيش هذه المرحلة بكل ما فيها من سعادة وحرية، ليست متعددة الأوجه لكنها فتاة صالحة تعرف حدودها مع الآخرين ومع الله. أنا أراعي الله فيها فهو الذي وهبني إياها، لكم مطلق الحرية في تربية أبنائكم لكن ابنتي أنا كفيلة بقلبها وروحها.

طقوس أمي (رحمة الله عليها) في شهر رمضان الكريم

طوال العام كنت أدخر جزءًا بسيطًا من نقودي الخاصة وفي ليلة اليوم الأول من رمضان تناديني والدتي والسعادة تغمر كل منا:

- رهف حبيبتي، هيا نذهب معًا لشراء بعض الأعمال الصالحة.

الكلمة قد تكون غريبة للكثيرين لكن حين سألتها للمرة الأولى: هل يمكن لأحدٍ أن يشتري أعمالًا صالحة، قالت لي:

- نعم يا ابنتي نشتريها بالصدقة والابتسامة في وجه الآخرين والتقرب إلى الله والدعاء، هناك وسائل كثيرة جدًّا لشراء الأعمال الصالحة، قد تكونين مليونيرة حسنات وقدرك عالٍ عند الله فقط إذا صفا قلبك من كل شر.

وأنا في قمة التعجب:

- لكن بالتأكيد الأعمال الصالحة باهظة الثمن.

أشارت بسبابتها:

- لا يا حبيبتي، فهي باهظة القيمة فمن يعمل عملًا صالحًا يدخره الله له في صحيفةٍ جميلةٍ بها كل خطوة نخطوها منذ ولادتنا حتى نلتقي به، فالله لطيف بعباده. تُرى كم أُحبكِ في الله يا (رهف)؟

- تحبينني بحجم البحر.
- وهل سألتِ نفسكِ مرة لماذا أحبكِ إلى هذا الحد؟

فكرت قليلًا واضعة يدي فوق رأسي:
- لأنني ابنتك وكبرت ببطنك وأنت أمي.
- حقًّا بالتأكيد أحبكِ لأنكِ جزءٌ مني، أما الله فهو مَن خلقك وشكّل ملامحك في أبهى صورة؛ فتاة جميلة كل من ينظر إليها يبتسم لنور وجهها بحب الله.

كنت أشعر بحيرةٍ كبيرةٍ؛ هل تعني أمي أنه من المفترض أن أحب الله أكثر من حبي لها ولوالديّ؟

قطعت أمي شرودي:

_ إلى أين ذهب عقل صغيرتي؟
- لكنني أحبكِ يا أمي وأحب الله أيضًا، لمَ أحبه أكثر منكِ وأنتِ التي تفعلين كل شيء من أجلي؟ أحبك وأحبه، اتفقنا؟
- تعالَي يا ابنتي واجلسي فوق قدمي، أتعلمين لمَ نحب الله؟
- لماذا يا أمي؟
- أغمضي عينيكِ لمدة دقيقة، ماذا رأيتِ؟
- رأيت ظلامًا؛ لم أرَ شيئًا أبدًا.
- والآن اغلقي أنفكِ بيدكِ وتحدثي.

ضحكت متعجبة من أفعالها.

- هيا تناولي هذا البسكوت وفمك مغلق.

- لن أستطيع أبدًا.

- إذن من له الفضل في كل شيء يا حبيبتي؟

- أنتِ لأنكِ أنجبتِني.

- إجابة خاطئة؛ الله I هو من أهداكِ إليّ، ونفخ فيكِ الروح، أهداكِ كل شيء؛ سمعك، بصرك، كل شيء بك دون أن يسترده أبدًا.

- إذن من الممكن أن يعاقبكِ الله لو اقترفتِ خطأً ما فيأخذني منكِ.

احتضنتني أمي بقوةٍ وكأنّ قلبها انقبض مما سمعتْ.

- لا يا ابنتي، أدعو الله في كل لحظةٍ ألا أرى بكِ مكروهًا وأن يجعل الله وفاتي قبل وفاتك.

- وأي مكروه قد يصيبني أقوى من عدم وجودك معي! أمي، أتعلمين حقًّا؟ أحب الله.

رفعتُ يدي للسماء حينها: (يا ألله لا تحرمني من كل الأشياء الجميلة، أشكرك على كل شيء أهديتني إياه لكن لا تأخذني من أمي ولا تأخذها مني، دعنا معًا أو نأتي لك معًا، أنا أحبها كثيرًا يا ألله).

قاطعني صوت أمي تناديني:

_ هيا يا ابنتي أنا جاهزة الآن.

نزلنا معًا لنشتري أعمالًا صالحة، تعلمون ما هي؟ إنها الصدقة، هذا العمل الذي سنشتريه اليوم وهو أمرٌ من أوامر الإسلام.

علمتني أمي أن أدخر من نقودي الخاصة قروشًا قليلة كل يوم، وفي ليلة رمضان ننزل معًا لنبتاع التمر وبعض التجهيزات التي نصنع منها عصائر يوميًّا.

لن أطيل عليكم السرد كي لا تملوا.

في أول يومٍ من أيام الشهر الكريم جهزنا الطعام وتركنا فقط التجهيزات الأخيرة، جهزنا أكوابًا وأطباقًا بلاستيكية وجلسنا معًا نصلي صلاة العصر، كنت صغيرة فلم أدرك كيف أصلي صلاةً صحيحةً لكنني كنت أقلد أمي طيلة الوقت وهي تعلمني الخطأ من الصواب وحين يقترب الأذان نكمل تحضير طعامنا ونحضر قليلًا منه؛ طبقًا أو اثنين على الأكثر، ونعد أكوابًا كثيرة، البعض منها مملوء بالمشروبات الرمضانية والبعض الآخر بالمياه.

أنزل إلى السيدة فاطمة وهي امرأة عجوز لم تنجب قط، عاشت وحيدة، أعطيها طعامًا مما نأكله، وأبي ينزل ليقف في الشارع يوزع العصائر على المارة ليكسب ثواب إفطار صائم، وحين يصعد يجدني وأمي قد توضأنا وبانتظاره لنصلي معًا صلاة المغرب ثم نأكل بسعادة ورضا.

لحظات سعيدة تجمع أسرتنا ثم ننزل معًا إلى مسجد منزلنا حيث أصرت أمي أن تحول الشقة الكائنة بالدور الأرضي إلى مسجدٍ وقسمته جزئين أحدهما للنساء، وآخر للرجال، نصلي صلاة التراويح ونصعد إلى منزلنا.

رحمة الله عليكِ يا أمي، كم كانت أشياء بسيطة لكنها في مكنونها أفعال عظيمة افتقدناها هذه الأيام.

***

مرت أعوام ليست بقليلة

حينها بدأت أمي تمهد لي أن حياتي ستتغير وسأنتقل إلى مرحلة عمرية مختلفة؛ فلم أعد طفلةً الآن ولا بد أن أضع خطوطًا عريضة لتحديد خطواتي في الحياة.

ذات ليلة جلست أمي بجواري، ابتسمتْ في وجهي وقالت:

ـ الآن حقًّا أنا سعيدة جدًّا.

ـ وما سر سعادتكِ يا أمي؟

ـ بعد سنوات كثيرة كنت سعيدة فيها، كوني أنجبت فتاةً الآن أراكِ بشكل مختلف؛ صديقتي، ابنتي، طفلتي، أمي، كلما مر يومٌ كبرتِ فيه أمامي أتوسل فيه لربي أن يطيل عمري كي أسعد بوجودكِ دائمًا وأضع بك بذرةً تنبت لي بالجنة شجرة جميلة تدعى رهف مثلك يا ابنتي.

ـ "كيف يا أمي سأصبح بذرة في الجنة؟

هل تريدين أن تفقديني؟

هل ستكونين سعيدةً إذا توفيت لأذهب إلى الجنة؟".

انقبض قلبها وضمتني بقوة وهي تردد:

- جعل الله يومي قبل يومكِ يا ابنتي فأنا لن أقوى على فقد أمي ثانية؛ أنتِ أمي.

ابتسمتُ وأنا ألفّ ذراعيّ حول رقبتها:

- هيا يا ابنتي أخبريني كيف سأكون بذرتك في الجنة.

- من يربِّ فتاةً تربيةً صالحةً ويتق الله فيها تأخذ بيده إلى الجنة أي أنكِ إذا راقبتِ الله في كل تصرفاتك كنتِ فتاةً صالحة، وستكونين سببًا يدخلني الجنة والآن سآخذ منكِ وعدًا أن تتقي الله في كل فعلٍ تفعلينه سواء كنت معك أم لا، أنتِ جائزتي في الحياة وعوضي من الله في الدنيا عن وحدتي ويُتمي، أريدك أيضًا أن تكوني سندًا لي في الجنة يا حبيبتي.

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

١- صدقة جارية،

٢- علم ينتفع به

٣- ولد صالح يدعو له.

- فهمتكِ يا أمي، أعدكِ أنني سأكون بارّة بكِ في غيابك قبل وجودكِ لكن أرجوكِ كلما تقرّبتِ إلى الله بصلاة وجهي دعاءك لي ولك، لا أريد أن أفقدكِ أبدًا ففقدي لكِ يعني نهايتي.

*****

لمياء أحمد عثمان

((أمومتي لأخي))

محمد هو الابتسامة التي أبتسمها في الحياة

تعلمت الأمومة وأنا ما زلت طفلةً؛ كنت أمًّا لأمي كي أعوضها عن وحدتها، ولأخي كي لا أفقده، لم أتخيل أنني سأصبح أمًّا يومًا ما وأحب طفلًا كحبي لمحمد.

من أجمل بصمات أمي في الحياة هو الحب الذي غرسته في قلبي وأخي لبعضنا البعض.

منذ طفولتنا لم يستطع أحدنا أن يأكل شيئًا دون أن يشاركه الآخر، ولأنني الأكبر كنت دائمًا المسئولة عنه وكأنه طفلي الذي لم ألده وتأكدتْ والدتي أنها جنت ثمارَ ما زرعت بداخلنا من حبٍّ حين حدثت هذه القصص.

*****ماذا فعلتم بابني*****

(حدث بالفعل)

يومًا ما ذهبت إلى المدرسة، كان أخي ما زال صغيرًا، لم ينطق سوى كلمات قليلة، أخذته والدتي معها إلى المطبخ، في حين عادت هي بسرعة لتفتح باب الشقة.

تحدثتْ معه بجدية وكأنها تتحدث مع رجلٍ راشد.

- لا تلمس الموقد أبدًا يا محمد.

هز رأسه مما أوهمها أنه يفهمها، لم تمر سوى لحظات تُعد على الأصابع حتى صرخ أخي صرخة مدوية.

عادت أمي ملهوفة فوجدت طنجرة الزيت مسكوبة على وجه أخي؛ لم تتمالك أعصابها من خوفها فوضعت يدها في الزيت كي تختبر سخونته حينها اطمأنت قليلًا فلم تصل حرارة الزيت إلى حد الغليان.

أخذته إلى لطبيب ولف وجهه بالكامل بالشاش، طفلٌ جميلٌ لا يظهر منه سوى عينين ينبثق الدمع من بينهما.

عدت من مدرستي كعادتي وأحضرت له كوبًا من الزبادي، ناديت عليه بلهفة:

_ محمد حبيبي أين أنت يا قلب أختك؟

لم يخرج من غرفته مسرعًا ليرحب بي بل رأيت طفلًا وجهه ملثمٌ بالشاش يبكي بحرقة ويشير إلى وجهه.

اعتصر قلبي وللحظة فقدت السيطرة على حالي، ناديت أمي وأنا أصرخ:

= ماذا فعلتِ بابني، تركته لكِ ساعات معدودة.

بكت وهي تبتسم في اللحظة نفسها:

- "والآن جاء موعد الحصاد".

تحدثتُ بغضب على غير عادتي

= أي حصاد يا أمي ماذا حدث لأخي؟

ابتسمت بفرح وكأنها وجدت كنزًا بين يديها.

- حصاد مَا زرعته بقلوبكما طيلة العمر؛ كنت أتمنى أن يطمئن قلبي عليكما لأتأكد أنني لم أترك أحدكما وحيدًا.

**الجميع يبحث عن النجاح في جمع المال لأولاده وتوفير حياة كريمة لكن القلة القليلة هي من تستثمر نفوس أبنائها لتزرع بها ثمار الحب والرحمة فإخراج إنسان جديد للمجتمع ليس أمرًا سهلًا وإنه لعمل عظيم.*

بشاشة الوجه

دائمًا ما كانت مبتسمة حتى في أشد الأزمات

حين حرق وجه أخي اتهمها أبي بالتقصير، لم يحزن أحدٌ مثلها فهو ابنها.

على أي شيء تعاقب الأم حين يصاب طفلها بمكروه؟

سيلٌ من الانتقادات والاتهامات على أم مقهورة مفتورة القلب على ما حدث بابنها لكن نحن لا نضع أنفسنا مكان الأم أبدًا.

"جل من لا يسهو"، وكثيرًا يكون التوتر وتراكم المسئوليات عليها جعلها تغفل فقط للحظات، لن تحتاج المرأة في هذا الوقت إلى صوتك المرتفع ولوم من حولك بل تحتاج يدك تربت فوق كتفها لتطمئنها أنه سيكون بخير. هذا سيكون بمثابة اعتراف منك أنك تعلم مدى الضغوط التي تعانيها.

لا تعني بشاشة وجه أمي أنها راضية تمامًا عما يدور حولها لكن كثيرًا ما تكون ابتسامات وجع لوجه بشوش وعين محملة بالدمع الذي يأبى النزول كي لا يحزن أحد لأجلها.

تنهدت رهف وبشجن قالت:

_لا أستطيع أن أستكمل الحديث عذرًا

وخرجت من المكان بوجهٍ غارق بالدمع، وقلب مفتور من الحنين لأمها قد تكون شعرت بالذنب لأنها هي أيضًا وجهت لها اللوم مثل الجميع.

*****

- والآن هيا يا رواء، اجلسي بمكان رهف، هل أنت مستعدة؟
أماءت رواء برأسها أنها جاهزة.

بدأت رواء حديثها بكلماتٍ حزينة تعبر عن مدى شعورها بالضياع دون أمها.

أمي أشتاقكِ كثيرًا، لم يخطر ببالي ولو للحظة أنني سأفقدكِ حتى الآن أتعجب حتى أردد كلمة: رحمها الله، هل حقًّا أتحدث عنك؟! قد كان يومي مليئًا بكِ وبوجودكِ والآن أنا وحيدة دون أخت، ومن دونك، تصارعت ضربات قلبي بعد فقدك وكأنه يرفض غيابك، لن أعترض على قدرٍ كتبه الله، لكن حقًّا الفقد موجع وفقدك قتلني وأنا على قيد الحياة.

صفق الجميع فأكملتْ:

قالوا إنها ماتت لكن روحي أيضًا دفنت بجوارها، كانت مراسم العزاء في غاية الصعوبة، لم أتمكن من حضور العزاء أو المكوث وسط السيدات، كنت أبحث عنها في كل الوجوه وفي لحظة أفقد السيطرة على دمعي فأهرب من المكان لأجلس وحدي أردد بصوتٍ حزين:

_حبيبتي يا أمي.

أعرفكم بنفسي أولا

_أنا رواء فتاة بالعقد الثالث من عمري متزوجة وأم لثلاثة أطفال، سأبدأ الحكاية من نهايتها.

((ليلة وفاة أمي))

كانت ليلة حزينة جدًّا لم أتمكن من النوم للحظة واحدة
كنت أشعر أنها ستموت

قبل أن تمرض وتدخل إلى المستشفى بأيام انقبض قلبي فجأة، بكيت دون سبب، كنت مع زوجي وأولادي بالشارع، سألني زوجي بتعجب:

- ماذا بكِ رواء، كنا سعداء طوال اليوم لماذا تبكين؟
- ستموت أمي قريبًا.
- لا تقولي هذا الحديث أطال الله عمرها.
- سترى ما سيحدث، دائما ما أشعر بأشياء قبل حدوثها.

اتصلت بوالدتي اطمأننت عليها، استعذت بالله من الشيطان الرجيم لأستكمل حياتي دون هذه الأفكار السيئة.

بعد أيام ليست بقليلة جاءت رسالة إلى هاتفي من أخي الصغير:

- رواء، أمي ماذا بها؟

كتبتُ له بلهفة:

- ماذا بها؟ كنت أتحدث معها منذ قليل.
- أخذها أخونا للمستشفى منذ قليل، فهي متعبة للغاية.

- لا تقلق يا حبيبي ستكون بخير سأطمئنك بعد قليلٍ، اهدأ ولا تبكِ أرجوك.

اتصلت بأمي فرد عليّ أخي، سألته بلهفة:

- أين أمي؟

- معي بالسيارة، هي بخير لكنها أكلت طعامًا فاسدًا أعطانا الطبيب أدوية ونحن في طريقنا الآن عائدين إلى المنزل.

- أنا في الطريق إليكم.

- لا لا، لمَ تأتي يا رواء؟ اجلسي بمنزلك مع أطفالك.

- انتهى الأمر اقتربت من البيت.

تحدثت مع أخي الأصغر عن طريق الرسائل:

- سأحضر عندك حالًا لا تخف يا حبيبي ستكون أمنا بخير ستعود للبيت بعد قليل.

ذهبت إلى بيت أهلي بسرعة، احتضنتها وكأنني رضيع لن يجد للأمان مكانًا سوى بحضن والدته، بعد أن أغرق دمعي ملابسها سألتها:

- ماذا بك يا أمي يا حبيبتي؟ جئت لأجلكِ فقط كي أراك وأطمئن عليكِ أحبكِ جدًّا.

أجابت بصوت مخلوط بالإرهاق والهزل:

- بعد أن أغلقت الهاتف معك غفوت قليلًا ثم استيقظت وأنا متعبة للغاية، شعرت أنني سأموت، صعدت للدور الأعلى بصعوبة وكأنني أصعد آلاف الدرجات، سألتني جدتك بلهفة:

- ماذا بكِ يا ابنتي:

أجبت:

- اتصلي بأولادي أرجوكِ أريد أن أموت بينهم.

دقائق واتصلت بأخيكِ، أخذتني معه إلى المستشفى وها أنا أمامك بخير لم أمُت كما توقعت.

احتضنتها بقوة:

- لا يا أمي لا تتركيني أرجوكِ.

ضحك إخوتي وقال أخي الأكبر:

- رواء هي الأكبر بيننا لكنها طفلة بحبها لكِ يا أمي.

كنت أرغب بالمكوث معها حتى تطيب لكنها ألحت على أن أعود لبيتي.

كنت أبكِي دون سبب، أتوسل للجميع أن أمكث مع أمي أو آخذها معي إلى بيتي وكأن روحي ترفض الرحيل من بيتنا هذه المرة.

بعد رفض غير مسبوق استسلمت وعدت لمنزلي.

في اليوم التالي اتصلتُ بها، وجدتُها متعبةً جدًّا، مرت ساعات كثيرة لم تستيقظ أو تأكل لكنها بخير.

أخذت أولادي وذهبت إليها، حممتها وجهزت لها شوربة دافئة، بدلت لها ملابسها وصففت شعرها، اطمأن قلبي عليها قليلًا لكنها ما زالت متعبة جدًّا.

ما زالت حالتها تتأخر، لم يأتِ العلاج بنتيجةٍ أبدًا، أخذتها لمستشفى آخر وأنا متعلقة بملابسها خوفًا من فقدها.

بعد عمل العديد من الفحوصات تم تشخيص حالة أمي أنها تحتاج إلى عملية قلب مفتوح؛ استقبلت الخبر وكأنه خبر وفاة أمي، أصابني انهيار حاد لم أتمكن من الهدوء أو تقبل الصدمة بشكل مناسب.

كنت مُوقِنة أنني سأفقدها، وبالفعل لم تمر سوى أيامٍ قليلةٍ وانتقلت أمي إلى جوار الرحمن.

بدأت الحكاية من نهايتها -موت أمي- ولن أحكي لكم ما هو سر تعلقي الكبير بها في الصفحات القليلة القادمة؛ سأعرفكم على ذلك.

لم أشعر أنني إنسانة ذات أهمية، لم يهتم أحد لشأني، هي فقط من كانت تهتم بتفاصيلي وكأنني جزء لا يتجزأ منها وحياتي خاصة بها.

كلما جلست مع أشخاص تكون سيرتي هي، ومحور الحديث وكأنني كنز كبير تملكه.

*أما عن ما علمته لي أمي فهو كثير لدرجة تجعلني لن أتمكن من ذكر ولو جزء بسيط منه لكنني سأتذكر وأروي لكم بعض المواقف منذ زواجي حتى الآن

حدث شجار بيني وبين زوجي بعد أيامٍ قليلة من الزواج مثل أي فتاة متزوجة حديثًا. ذهبت لأمي كي أحكي لها ما حدث، استمعت لي باهتمام، وبعد أن أنهيت حديثي، واستنني بكلمات طيبة وطلبت مني أن أتصل به ليأتي إلى بيتها ونتناول الغداء معا.

جلسنا أمامها فبدأت حديثها قائلة:

- اتفق شخصان على بناء شركة كبيرة برأس مال ضخم وبالفعل نجحا في بنائها لكن بعد فترة وجيزة تدخل أشخاص بينهما وتسللوا بين خلافاتهما توقعا ماذا سيحدث؟

زوجي بجدية:

=بالتأكيد ستنهار الشركة، سيخسران ما أنفقاه من أموال وجهد لبناء هذه الشركة.

وجهت أمي بصرها تجاهي:

- وأنتِ يا رواء، ماذا سيحدث من وجهة نظرك؟

- ستنهار الشركة بالتأكيد يا أمي وتدبر المكائد بينهما، قد يصل الأمر لأن يخسر الأشخاص بعضهم البعض بعيدًا عن خسائر العمل.

ابتسمت أمي:

- "هذا ما وددت أن أسمعه منكما.

أنصتا إليّ جيدًا

حين تزوجتما ومن اللحظة الأولى الذي جمعكما الله بها. أصبح بيتكما أمانة بين أيديكما، مؤسسة كبرى، أنتما شريكان فيها، لا أريد أبدًا أن أسمع عن خلافات بينكما أو أي أشياء خاصة بهذا البناء العظيم الذي بُنِيَ بالحب والسعي إلى الاستقرار والآن هيا يا فارس انهض وامسك بيد زوجتك وعودا إلى بيتكما لن أستقبل أي منكما هنا وهو غاضب من الآخر، أصبحتما من أبنائي".

نهض فارس وقبل يد أمي، عدنا لمنزلنا ونحن سعداء.

قد أكون لا أجيد الحكي مثلكم لكن سأروي لكم خلاصة ما تعلمته منها عن الزواج بشكل عام.

" الغيرة تحطم كل ما هو جميل"

مشاعر الغيرة حادة كسكين قد تستخدمه في تقطيع الطعام أو جرح نفسك وتتسبب في جرح مؤلم.

ذات يوم ذهبتُ إلى بيت أبي وأنا غاضبة جدًّا من زوجي سألتني:

- ماذا بكِ؟

- لا شيء يا أمي جئت لأجلس هنا معكم بضعة أيام.

تركتني آخذ قسطًا من الراحة وطلبت مني أن أتصل بزوجي، رفضت بحجة أنه بالعمل قد يكون مشغولًا لكنها وضعتني بخانة الْيَك، طلبت مني أن أتحدث معه أولًا ثم أعطيها الهاتف لتطلب منه أن يأتي ويتناول معنا الغداء لكن أولا أعرف هل تسمح ظروفه بذلك أم لا.

نظرت إليها وأنا عاجزة عن الحديث:

- أعلم أن هناك شيئًا ما تخفينه لكنني سأتركك حتى تأتي وحدك وتروي لي ماذا بكِ.

- لا شيء يا أمي، فقط هو شعور أن هناك شيئًا ما غير مريح.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن هناك شيئًا غامضًا بزوجي أشعر أنه يعرف امرأة أخرى.

تنهدت بتعجب:

- ومن أين أتى إليك هذا الشعور؟

- يتعامل معي وكأنني جماد بالمنزل، كلامه مجرد من المشاعر.

يتعامل معي وكأنني شيء روتيني أُجبر عليه بالقوة.

لا أشعر معه أنني امرأة أبدًا يا أمي".

- "هل هذه أسباب قوية من وجهة نظركِ أن تشكّي في زوجك وتفري هاربة من بيتك؟

أتظنين أن هذا الخيار مهرب من رجل تزوجك وأكرم مثواكِ؟!

أهذا هو جزاء من يطعمك ويحتويك بمنزله؟!!".

- افهميني يا أمي، حين تشعر المرآة أن هناك غيرها في حياة زوجها يكون إحساسها صادقًا جدًّا.

- "إنهم شياطين الإنس هم من وضعوا هذه الأفكار برأسك، صديقاتك أم هؤلاء اللاتي ينشرن أسرار بيوتهن على "السوشيال ميديا"؟

اسمعيني يا ابنتي، لا توجد امرأة على وجه الأرض لا تغار على زوجها وخاصة إذا كانت تحبه لكن إذا فشلت في السيطرة على جنون مشاعرها هذه ستفقد كل شيء، قد تصاب بالجنون أيضًا".

- أصدقك يا أمي في كل كلمة، وبفضل ذلك ما زال بيتي مستقرًّا.

إن تحدثت عن أمي وحبها لي لن يكفي حبر الكون وصفحات العالم، كل ما أستطيع أن أرويه لكم هو أنني من دونها لا شيء وكأن وجودي مجرد كذبة انكشفت بوفاتها.

لم يكذب الذي قال إن الأم هي الجمهور الوحيد، حقًّا كانت جمهوري، دنيتي، عالمي.

وها أنا بعدها لا شيء... لن أستطيع أن أكُمل حديثي فليرحم الله أمي وأمهاتكم.

قصة/ نوران

تبدأ نوران الحديث وهي غارقة في دموعها.

- "تختلف قصتي عنكم جميعًا

كنت أظن أنني أكره أمي كثيرًا

أتعامل معها بقسوة، ألومها بكلمات كالحجارة، أبتعد عنها لأثير قلقها ظنًّا مني أنني بهذه الطريقة سأثير اهتمامها.

لم ترَ مني سوى كل شر وجفاء، رغم كل ذلك غمرتني بحبها.

لا أتذكر كلمة قاسية قالتها لي أمي أبدًا

والآن بعد موتها استيقظتُ من غفلتي، أشتاق إليها بجوارحي كلها.

كم أتمنى أن أموت؛ فقط لأدفن بجوارها.

لعل في عالم البرزخ أقابلها لأكفر عما اقترفته في حقها من بعد قسوة وهجر، لم تخطئ أمي في تربيتي كما توقعتم.

نحن أربع فتيات، سأروي لكم قصة أختي بهيرة وكم تحملت لأجلنا.

قصة بهيرة

بهيرة هي أختنا الكبري، شخصية منكسرة ضعيفة، لا تنطق بكلمة "لا" أبدًا، تحب الجميع وتتفانى في إرضاء الكل، في حين أنها تتكاسل أن تصنع لنفسها فنجانًا من القهوة.

هي أكثر من تألم على وفاة أمي بيننا وكأن حياتها قد انتهت يوم وفاة أمي، ظننتها بهتت، ضعفت، لكن سرعان ما تغاضت عن كل شيء، كانت بعد الله عونًا وسندًا لنا جميعًا، تتحمل كل شيء منا جميعًا فقط كي لا نشعر بوجع الفراق.

أسمع أنينها في كل ليلة تتمتم وتبكي بحرقة، تنادي بلهفة، ترتعد شفتاها وهي تقول: "أمي، أشتاقكِ حد الموت، ليتك هنا يا أمي"، ثم تنظر حولها تكفكف دمعها وتنام.

لم أرها يومًا واحدًا منذ أربع سنوات وشهور قليلة تنام وهي تبتسم، إما تحتضن صورة أمي، أو تبكي من لوعة الفراق.

رغم أنها لم تغضب منها أبدًا كانت معها لحظة بلحظة، إذا تشاجرا معًا لا يمضي اليوم إلا وكانت متحدثة معها لتصلح ما فعلته وكأنها اقترفت ذنبًا كبيرًا بحق الله.

يا لها من أخت عظيمة فقد كانت لنا بعد الأم أمًّا.

بكت نوران بحرقة، أشارت بيدها أنها أنهت حديثها.

فصفق الحضور.

تحدث أحدهم:

- هذا ما زرعته أمك يا نوران، زرعت الخير بقلوبكن والآن تجني كل ذلك، يكافئها الله بكن. سيكرمكن الله بكل خير كرمًا لهذه السيدة الجميلة. فمن تغرس المحبة بقلوب بناتها بهذه الطريقة بالتأكيد سيدة عظيمة.

*****

وأنت أيها القارئ
ماذا تعلمت من والدتك؟

إذا كانت والدتك ما زالت على قيد الحياة فالفرصة أمامك كي ترى روعة الحياة، كن بجوارها وإذا فقدتها فلتدوّن مشاعرك هنا بين السطور وتروي لنا

كيف كانت ليلة فقدك لها؟

ينقسم هذا الشق من الكتاب إلى شقين:

- ولد صالح يدعو لك
- فتاة تدخلك الجنة

ولأن الرجال قوامون على النساء سأبدأ بهم أولًا ونسلط الضوء معًا على بعض النقاط المهمة التي يتوجب علينا تعليمها لأبنائنا.

الـفـصل الأول
(ولــد صـالــح)

في هذا الشق من الكتاب سنتحدث عن (آدم)

كل رجل في هذه الحياة

فالحياة تنتصف بينه وبين حواء، منذ الصغر تتشكل شخصية الطفل، تظهر معالمه كرجل، هل سيكون رجلًا صالحًا أم لا؟

* انعكاسات *

أكثر ما يرهق الأمهات هي تصرفات أولادهم أمام الآخرين، فهم مرآة عاكسة تنم عما يدور داخل المنزل وما نعلّمه لهم.

معظم تصرفات الأمهات أمام الآخرين من تعنيف وصراخ يوجه للطفل ما هو إلا مجرد خوف على مظهرها أمام الآخرين، بمجرد أن يتصرف الطفل بطبيعته البريئة تصرفًا يقلل من شأنها تتحول لشخص آخر.

الكارثة الكبرى هي أننا قد نتغاضى عن مثل هذه التصرفات إذا كنا وحدنا، نسمح للطفل أن يتجاوز كما يحلو له.

كيف يميز الطفل ذلك وهو على مشارف الحياة، لا يعرف الرياء.

هنا يأتي دور الأم؛ هي من تتحكم في تصرفات أطفالها، ترفض أي تصرف خارج عن المألوف كي لا يتشتت ذهنه، يضيع وسط تضارب تصرفاتها.

مثال على ذلك

طفل في الرابعة من عمره دائمًا ما يمد يده ويضرب والدته حين يغضب.

دائما ما تتقبل الأمر بمزح وتهدئة، لكن حين كانت ببيت عائلتها وفعل ذلك صرخت بوجهه وكأنه للمرة الأولى يفعل هذا معها.

أصيب الطفل بصمت، لم يبكِ أو يبدِ أي اعتراض عن تصرف والدته، هذا لأنه صدم من رد الفعل غير المتوقع.

كان عليها أن تعلمه منذ البداية ألا يتجاوز أبدًا لكن الأنا العليا تدخلت وجعلتها تظلم طفلها.

Super boy

من الأخطاء الجسيمة التي ترتكبها الأسرة في حق الطفل هي أن تتعامل معه وكأنه (Super Boy)؛ لا يخطئ أبدًا، يتصرف كما يحلو له، يخطئ ويتعالى على إخوته، وفي الغالب يحدث ذلك حين يكون الولد الوحيد لعائلة تملك أكثر من فتاة، هنا يفسد كل شيء إذا لم يتم توجيه الولد بشكل صحيح أنه هو المسئول عن الأسرة بعد والده.

لكن للأسف ما يحدث هو أن بعض الأسر تفرق معاملة الولد عن إخوته، تجعل منه شخصًا أنانيًّا، متملكًا يحب نفسه دون أي شيء آخر، لن يسعى سوى لإرضاء نفسه والكارثة الكبرى حين يتزوج هذا الشخص لن يتكيف العيش مع أخرى لها حقوق، عليه واجبات تجاهها بل هو اعتاد أنه ((سي السيد)) يريد من يمتلك عصا سحرية، يضيء له شموع قلبه كلها يعطيه كل ما يريد دون مقابل وكأن ((طلباته أوامر)).

لم تستمر هذه الزيجات فترة طويلة أبدًا.

لا يوجد من هو super boy

وكلما بالغتِ في تفخيم مكانة ابنك كانت النتيجة مهلكة لك وحدك، وستجنين ما تزرعين به، لكن بعد فوات الأوان.

*** (خد حقك، اللي يضربك اضربه)**

من الكلمات المؤذية لذهن الطفل هي كلمة خد حقك، اضرب من يضربك، نحمله مسئولية التحكم في تصرفات الآخرين.

ماذا تفعل أنت الآن؟ تجعله يكتسب مساوئ الآخرين؟

فهذه الكلمة بمثابة جلوس طفلك أمام مباراة ملاكمة

كيف نمنعهم من التصرفات العنيفة مع الإخوة والأهل والأقارب وفي اللحظة نفسها نطلب منهم أخذ حقهم بالعنف.

إليكم بعض الكلمات التي تترك نفس الأثر السيئ في نفوس أبنائنا

(هذا أفضل منك، لماذا تسمح له أن يضربك؟ هل تخاف منه؟ أنت ضعيف، أنت لست رجلًا.

جميعها عبارات تحطيمية تساعدك كثيرًا في بناء شخص غير متحمل للمسئولية، قادر على خسارة كل شيء وأي شيء مقابل إثبات أنه قادر على ذلك.

قارب النجاة

كغريق وجد قارب نجاة يتحمل عقبات الحياة بدلا منه، يتلقى تلاطم الأمواج ليحميه.

هكذا يكون دورك حين تستنزف قواك كاملة لإرضاء الآخرين ((مجرد قارب)) سينقضي من قوة الصدمات، بمجرد مرور هذا الشخص من عقباته سينسى من أنت ويلقيك على شاطئ الفراق وحدك.

تتذكر كل موجة تحملتها وكل جزء تحطم منك دون أن يقدّر أحد ما فعلته أنت، ما الذي انتقضته من روحه ليعبر هو بأمان.

لكنه لن يتذكر ذلك أبدا، أنت رماد، أحرقت نفسك بمحاولة إرضائه وبمجرد إخماد نيران الاحتياج انتهى دورك نهائيًا، أصبحت هشًّا محترقًا، مكانك بعبوات القمامة.

هذه هي الشخصية الاعتمادية، لن تتذكرك سوى وهي بأمسّ الاحتياج إليك، تشعرك حينها وكأنك أهم مخلوق في الكون، حتى تلقى كافة همومها فوق عاتقك، تتخلص من كل السلبيات التي تكمن بداخلها.

تقترب وتقترب ثم تختفي في لحظة، حسنا انتهى دورك الآن ابتعد سيهملك كثيرًا يبتعد عنك، يلقيك باتهامات وهمية قادر على فعل كل شيء.

مقابل أن ترحل أنت وتدعه يعيش كما يحلو له سيأتي دورك حين يتعثر بالحياة ولا يجد من يقف معه كظله، يقتسم أوجاعه، لا تكن هذا الشخص.

ـ غالبا ما تقع المرأة ضحية الشخصية الاعتمادية وهذا نتيجة لعادات وتقاليد قديمة.

مثال على ذلك

*** ((رتبي المنزل))**

غالبًا ما تكون هذه مسئولية الأنثى هي من ترتب غرفة والدتها، والدها، أخيها، وكأن وجودها مرتبط بخدمتهم جميعًا، أما إذا تمردت على ذلك وامتنعت ستصبح ناشزًا، مذنبة سيشكو منها للجميع وتتعامل بطريقة غير آدمية بالمرة.

مع أن مشاركة الرجال في الأعمال المنزلية سلوك نبوي كريم.

كيف نرفضه ونحن نقتضي بمحمد X في كل كبيرة وصغيرة، نحن أمته، كيف سيشفع لنا ونحن لا نسير على خطاه؟!

**** خطوات بسيطة من الممكن أن تفعليها لتزرعي به روح المشاركة**

_ترتيب سريرة فور استيقاظه من النوم.

_جمع ألعابه في وعاء خاص بها.

_إحضار المائدة معك، جمع الأطباق فور انتهاء الطعام.

_وضع ملابسه المتسخة في وعاء الغسيل، النظيفة في الدولاب الخاص به بعد أن تطبقيها.

هذه الأشياء علميها لكل أبنائك ولدًا كان أو فتاة نحن سواسية.

(شراء طلبات المنزل)

الكثير من الأسر تعتمد على الأنثى في شراء مستلزمات الطعام بل يعدونه خطأ جسيمًا حين يُطلب منهم شراء بعض الطماطم أو غيره.

يجيبون بكل ثقة ((نحن لسنا نساء))

وحين تأكل هذا الطعام وأنت معتمد على شخص خلق من ضلعك، أضعف منك بمرات كثيرة، أين رحمتك بها؟

أين وصية رسول الله ((رفقًا بالقوارير))

* حين يشاركك طفلك في شراء مستلزمات المطبخ، إحضار بعض الخضروات من الثلاجة فقط لإعداد الطعام سيتعلم أن هذا دور طبيعي، إياك أن تطلبي من ابنتك فقط بوجوده.

توظيف المشاعر

*كن رجلا *

كلمة يستخدمها معظمنا لتربية الولد وهي:

(لا تبكِ؛ أنت رجل، لا يوجد رجل يبكي أبدًا)

وهنا دون أن نشعر نغرز به كبح المشاعر وألا يظهر ما بداخله أمام الآخرين، بل ونجعله ينتظر حكم الآخرين عليه فرغبتك في أن تقوي شخصيته لم تجنِ منها سوى ضعف وعقدة كبيرة تؤثر على حياته المستقبلية.

وكأنك تمسك بمفك حديدي تفتت به شخصيته لتهدم حائط ثقته بنفسه.

يبدأ هذا الأمر في الظهور كلما تقدم الولد في العمر

قد يظهر متبلد المشاعر حين يمرض أحد أفراد الأسرة، يتعمد أن يتعامل بلا مبالاة، وبداخله بركان من المشاعر، الخوف.

وتتفاقم الأزمة حين يتزوج ويصبح مسئولًا عن علاقة مع فتاة، خطيبة كانت أم زوجة، يتعمد عدم إظهار مشاعره تجاهها، بالتأكيد ستنهار علاقتهما، فما فعلته أنت به هو أنك زرعت بقلبه شح المشاعر وهو أسوأ أنواع البخل.

فبخيل المشاعر يتسم بالبلادة في كل شيء.

علموا أولادكم توظيف مشاعرهم بشكل صحيح والتعبير عن مشاعرهم بالطريقة التي تتناسب مع شخصياتهم.

قصة قصيرة ((حدث بالفعل))

جاء أحمد من المدرسة، وهو غاضبٌ جدًّا، تعجبت والدته من ملامحه الجامدة

- ماذا بك يا أحمد؟

- لا شيء.

بعد محاولات كثيرة أن تخرج ما بداخله من حزن فشلت فشلًا زريعًا، وفي حديثٍ بينهما:

- أحمد.

- نعم يا أمي.

- دعنا نتفق على شيء.

- ما هو؟

- أريد أن أراك وأنتَ ترسم؛ سأجلس بجوارك وأنت ارسم ما يخطر بذهنك اتفقنا؟

- اتفقنا.

رسم أحمد على الجانب الأيسر ولدًا يقف بعيدًا والدموع تسقط من عينه، وفي الجانب الآخر ثلاثة أطفال يضحكون بشكل هستيري ويشيرون إلى الطفل وكأنهم يسخرون منه.

فهمت الأم أن ما يحزن ولدها هو تعرضه للتنمر من قبل زملائه.

أخذت اللوحة وذهبت معه بها إلى المدرسة، أعطتها للمعلمة فقررت أن تعلقها في الفصل وصفق له جميع زملائه، كانت هذه بداية ميلاد رسام مميز.

هنا استغلت والدة أحمد مشاعر ابنها السلبية ليخرج من داخله شيئًا مميزًا دون أن تمنعه من إبراز مشاعر أو تمنعه من الحزن والغضب بمعنى أدق وظفت مشاعره.

*****

العلاقات المسمومة

أولا: المدح الزائد

من منا لم يمدح أبناءه بدافع الحب أو تعزيز الثقة بالنفس في نفوسهم؟ لكن كل شيء إذا ازداد عن حده انقلب ضده هكذا المدح أيضًا حين تتمادى في مدح ابنك فأنت تغرز به عدم الثقة بالنفس دون أن تدري، ويأخذ كلامك من منطلق جبر الخواطر، أي أنك تعوض نقصه لشيء ما بمدحك له، لأنه لم يتلقَّ المدح من كافة البشر، وأنتَ فقط الذي تشعره أنه مميز وهنا تتسع فجوة ثقته بنفسه.

**** مثال ****

((الذكي))

عاش جاسر طفولة مدللة، وكان أبواه دائمًا ما يمدحانه، يقولان إنه أذكى طفل في الحياة، لكن كانت الصدمة الكبرى حين خرج الولد للحياة ليجد أنه ليس الأذكى بين البشر، بل أن تحصيله الدراسي أقل من زملائه، مما صنع داخله فجوة، شعور بالتقصير وأنه فقد ميزته الوحيدة من وجهة نظر والديه.

اضطر الولد أن يصطنع من خياله مواقف ليظل أمامهما الذكي، وبداخله يعاني من قلة قدراته وعدم قدرته على البوح بالاحتياج للمساعدة.

((الجميلة))

فتاة عاشت طيلة سنوات طفولتها في مدح والدتها لها وهي تحاول إقناعها أنها أجمل فتاة على وجه الأرض، حين تذهب إلى بيت أقاربها تتمادى والدتها في مدحها، حتى أصيبت بالغرور بل عشقت ملامحها ظنا منها أنها الأجمل بين الجميع.

كانت الصدمة الكبرى حين اختلطت الفتاة بالمجتمع، ووجدت أنها ليست جميلة لهذه الدرجة.

في المدرسة كانت دعاء تجلس بين صديقاتها وبين المزح والحقيقة تنمرت صديقتها على ملامح وجهها، ضحك الجميع بينما هي صامتة تتذكر كل كلمة نادتها بها والدتها، لامت نفسها كثيرًا كيف صدقت كلماتها، فقدت ثقتها بنفسها، صنعت فجوة بداخلها، تضارب في الأفعال.

(الدائرة المغلقة)

تخيل أنك تدور داخل دائرة مغلقة لسنوات طويلة، كلما حاولت الخروج فشلت بجدارة، محاط باهتمام هؤلاء الذين يظنون أنهم جدار حمايتك من الحياة، لكنهم نجحوا بتفوق في فقدك ثقتك بالآخرين، وتملك الخوف منك.

هذا لسان حال كل طفل أو طفلة يخرج للحياة بعد فترة طويلة من الانغلاق الأسري.

نظن أننا نحميهم من الجميع لكننا نجني عليهم، دون إرادتنا حين يصل الطفل لسن محددة يبتعد عن الأسرة، يخرج للمجتمع بكامل العفوية التي زرعتها بداخله، فيجد نفسه صاحب شخصية ضعيفة متهالكة، تتقبل المعارك الحياتية، وكأنها نهاية المطاف، تجده بين زملائه القريب من الجميع يخشى الفراق، يأبى خسارة أي منهم كي لا يكون وحده، هو يكره وحدته ولا يريد أن يعود لها أبدًا، قد يقع بشخصيات تفقده ثقته بنفسه، يظل طوال حياته ضحية خوفك من مواجهته للمجتمع.

حين يخرج الطفل من إطار الأسرة ويذهب للمدرسة لأول مرة، تظهر طريقة معاملة أهله له أمام الجميع ويمكننا اختيار الطلاب المتهالكين نفسيًّا، المنغلقين حول أنفسهم بكل سهولة، وذلك لأن سماتهم واضحة.

_بكاء متواصل وخوف من الابتعاد عن الأم وكأنه ما زال جنينًا وللتو انفصل عن جسدها.

_الخجل الزائد
يخجل بشكل غير طبيعي ويرفض الحديث مع المعلمات ومع أصدقائه، وذلك خوفًا من حكم الآخرين عليه.
وتظل هذه الصفات معه لفترات طويلة إما تتغير أو تظل معه حتى يكبر ويواجه الحياة بنصف طبيعته.

وفي تربية الفتيات يكون الأمر كارثيًّا لأنها اعتادت الوحدة، الجلوس بمفردها، والانعزال لا يؤدي إلا للخطأ.
الانعزال يأخذها إلى الاكتئاب والابتعاد عن الجميع ونرسم بداخلها دائرة سوداء تدفع كل من يقترب منها للابتعاد عن حياتها.
كيف ستصبح أمًّا لأطفال وهي تحتاج من تتكئ عليه لتتخذ قرارًا واحدًا خاص بها؟
كيف تعيش وسط عائلة لا تعرفها وهي لم ترَ سوى أفراد أسرتها فقط، تتلون وتغير طبيعتها حين ترى غريبًا خوفًا من ردود أفعالكم.
كيف وكيف وكيف..... إلى ما لا نهاية من التساؤلات التي يجب أن تطرحيها لنفسِك، لتفكري كثيرًا في تغيير طريقة معاملتك مع ابنتك كي لا تقع فريسة وتظل حبيسة داخل الدائرة.
كذلك الفتى أيضًا؛ العزلة تأخذه لطرقٍ سوداء، يأخذ النصائح ممن هم في نفس عمره.

لذلك الاعتدال هو خير سبيل لا الانغلاق ولا الانفتاح

_دع طفلك يتعامل مع من هم في نفس عمره

_اشترك له في لعبة رياضية ليشارك الجميع ويكون شخصًا فعالًا في المجتمع.

_اتركه يواجه الحياة ويتصرف بطبيعته دون أدنى تعليق منك على قراراته.

_ كن حريصًا جدًّا وأنتَ تلاحظ تصرفات أولادك، وإذا وجدت منهم من هو يبتعد عن الجميع وتبدو عليه علامات الانغلاق، فورًا فعّل جرس التنبيه وتصرف بجدية معه كي يتغير، لا تتأخر كثيرًا. فخير ما تتركه لأبنائك هي طباع تغرزها بداخلهم، وثقة تعززها بأنفسهم.

أما كل شيء آخر سيأتي مع الوقت.

واجبنا كأمهات وآباء أن نُخرج لهذا المجتمع أشخاصًا أسوياء نفسيًّا كي لا نظلمهم ونظلم غيرهم بالتعامل معهم في المستقبل.

*****

((اللحظة الحاسمة))

إنها للحظة فارقة جدًّا وكأنها بداية التأهب للحياة، حين ينفصل الطفل عن والدته للمرة الأولى، يترتب عليها الكثير من الأمور التي قد تترك أثرًا فعالًا في شخصيته.

فالكثير من الأمهات تعتاد وجود الطفل بين ذراعيها، ويكون النصيب الأكبر من الخوف لها حين تقرر أن تتركه ولو لساعة واحدة بعيدًا عنها.

من شدة ارتباطنا بأبنائنا قد نلقي على عاتقهم أمورًا لا تليق ببراءتهم دون أن نشعر أو نريد ذلك.

حين يراكِ الطفل والخوف منبثق من عينيكِ لو ابتعد، يرتبك ويشعر أنك ستتركينه لألم كبير.

إذا أنتِ خائفة، ماذا عنه؟!

لن يتركك أبدًا

والآن تركك خائفة، يخشى عليك من الخوف الزائد، كأنه مسئول عنك لأنه هو من تسبب لك به، بالإضافة إلى مواجهته للعالم الخارجي للمرة الأولى.

كوني حريصة جدًّا في التماسك أمام أبنائك وبناء شخصية قوية أمامهم، فالطفل يستمد قوته من والدته، ويراها سبيل النور الذي يهديه إلى الرشد..

ويزداد الأمر حدة في حالات الطلاق، هنا تكون الأم هي الضحية، بالإضافة إلى فشلها في استمرار زواجها.

هي مسئولة مسئولية كاملة عن تأهيل وإخراج أطفال أسوياء للمجتمع، وما يزيد الأمر تعقيدًا هو أنهم يرونها المسئول الوحيد عن متطلباتهم، لن يقدّر الجميع هذا الأمر بالتأكيد.

الأولاد نوعان:

*إما على قدر من المسئولية، حنون على والدته، ومقدّر مدى تعبها من أجل أن يعيش وإخوته في مستوى أفضل.

*أو قاسٍ يريد كل شيء دون أن يسأل نفسه كيف تفعل هي كل ذلك دون وجود رجل في حياتها. وخاصة بالأمور المادية

((حدث بالفعل))

هناك من تتحمل تربية أطفال دون تدخل من والدهم الذي ما زال على قيد الحياة، تفعل كل شيء كي يظل مستواهم الاجتماعي راقيًا ويليق بهم بعد أن تركها والدهم دون أن يكلف نفسه السؤال عن أولاده كأقل تقدير.

بعد أن كانت ربة منزل لا تقوى على الخروج من المنزل وحدها، خرجت للحياة العملية واستخدمت شهادتها الدراسية الملقاة في الخزانة، عملت كمعلمة طوال اليوم وهي تسعى من أجل أولادها.

والآن جاء موعد جني الثمار، ها هم أولادها يخشون عليها من الهواء، أولاد صالحون، مقدرون مدى خوف والدتهم عليهم، ومدى انهماكها في العمل كي لا يشعروا بحلقة الفقد حين ترك والدهم المركب تغرق لكنها لم تسمح بذلك.

*****

وهنا كان من الصعب بل المستحيل أن تبني الأم شخصية حادة أمام أولادها، كيف لا تظهر خوفها عليهم من المجتمع،

وهي خائفة مِن كل مَن حولها، كونها مطمعًا لكل من حولها، مستضعفة من فئة كبيرة من المجتمع

((خلاصة هذا الفصل هو))

أنه لا توجد امرأة على وجه الأرض خلقت ضعيفة بل هي الصعوبات تجعلك تخرجين ما بداخلك من قوة كوني أنتِ، كوني قوية.

*****

((هوس التملك))

يظهر التملك في الإنسان منذ بداية وعيه بواقعه في الحياة، فهو غريزة يولد بها الإنسان، وأكبر دليل على ذلك هو الطفل الذي لم يبلغ عامين أو أقل يغار حين تحمل والدته طفلًا آخر، كأنه يريد أن يمتلكها وحده.

وتزداد الرغبة في التملك إذا لم يتم التحكم بشكل مناسب في التصرفات منذ الصغر وأسباب ذلك تكون واضحة كوضوح الشمس قد نفعلها ونحن على يقينٍ أن بها تأثيرًا سيئًا جدًّا على سلوك الطفل لكننا نتغاضى رغبةً منا في أن نشعره أنه مميز، وأن طلباته مجابة أو أننا نحبه وغير ذلك.......

****ومن أهم هذه الأسباب**

_الاستجابة لكافة متطلبات الطفل

لم يكن شيئًا جيدًا حين يحصل الطفل على كل ما يحلم به من ألعاب وأشياء يحبها، هذا يزرع بداخله أنه ملزم أن يلبي كافة احتياجاته، بأي طريقة دون أدنى مجهود فهو سيحصل على كل شيء مجرد أن يطلبه فلن يشعر بقيمة أي شيء أبدًا.

أين لذة المفاجأة ولحظة السعادة بالحصول على ما تمناه أخيرًا؟!!!!

_الحرمان من كل شيء

هناك بعض الأمهات تخفي ألعاب الطفل، خوفًا من عرقله المنزل وتظن أنها تحافظ على ألعابه، وتغرز به حب أشيائه الخاصة، وتظل على هذا الحال حتى يكبر الطفل ويصبح شابا، وهذه الألعاب تكون مجرد ذكرى لطفولته، يتألم كلما تذكرها.

وحين يتقدم في العمر يصاب بنزعة التملك ويحاول بكل ما لديه من قوة أن يحصل على ما يريد، إما أن يحب جني المال ليحصل على ما يريد وكأنه سيشتري مشاعر الآخرين بعطائه الزائد لهم، أو يتملكه الشعور بالحرمان طيلة حياته ويعجز عن سد هذه الحاجة لديه.

وماذا حين يفهم أنها فعلت ذلك فقط كي لا تبذل جهدًا أكبر في سبيل إسعاده، هل ستكونين سعيدة حين يفهم ذلك؟ هل سيتذكركِ بالخير ويتمنى أن تكوني له رفيقة في الجنة؟

**** وهل التملك عند الأطفال فقط؟**

بالتأكيد لا

نحن أيضًا نحاول أن نتملك أبناءنا، ونأخذ رحلتهم في الحياة كتجربة خاصة بنا، نختار ما يناسبهم، ونمنعهم مما نبغضه وكأنه تم تعيينا مسئولين عن شئونهم الخاصة.

جميعنا راودنا حلم الطبيب والمهندس، أكاد أصدّق أن الجميع كان يتمنى أن يصبح أولاده أطباء أو مهندسين وكأن العالم اقتصر على هاتين المهنتين، وحين ينجح في الحصول على درجات عالية تعطيه الفرصة أن يلتحق بالطب أو الهندسة تكون السعادة عارمة.

ماذا لو قرر هو الالتحاق بكلية الفنون الجميلة على سبيل المثال؟

سيغضب عليه من حوله، وكأنه اقترف خطأ بحقهم، رغم أن هذا مستقبل خاص به وحده، لا يحق لهم سوى توجيهه ومساعدته على السير في خطى سليمة.

إذا رغب الابن في الارتباط واختار فتاةً مناسبة من وجهة نظره، وهم يرونها غير مناسبة للوجود بينهم وأنها دخيلة على حياتهم، سيفعلون كل شيء لتدمير هذه العلاقة بدافع تملك والدهم أو شعورهم أنها ستأخذ حيزًا أكبر من اهتمامه، وتهمش وجودهم.

لم يقتصر الأمر على ذلك بل هناك مِن الآباء مَن يختار شريك حياة لابنه أو ابنته ويعطي الحق لنفسه في الاختيار دون الرجوع لصاحب الأمر، ومعرفة مدى قبوله لهذا الأمر وارتياحه للشخص. وحين يتزوج يتدخل في كل كبيرة وصغيرة ويرى ذلك من أهم واجباته وهو الاعتناء بحياته، ومعرفة كل شيء يدور داخل المنزل سواء في وجوده أم لا؟

وحين تكون الأسرة متملكة إلى هذه الدرجة، بالتأكيد سيشرب ولدهم من هذه الطباع السيئة ويصبح شخصية هشة لا يقوى على اتخاذ قرار واحد إلا بعد الرجوع لأهله، ومشورتهم وكأنه طفلٌ صغيرٌ عاجزٌ عن التصرف دون أن يخبرهم ماذا يفعل، إلى أين يذهب؟ متى سينجب؟ و... و..... إلى غير ذلك من الأمور الخاصة.

وبالتأكيد يتسبب ذلك في دمار هذا الشخص ولن يعيش في هدوء طيلة حياته بل سيسخر شريكه حياته.

ليس هناك من تتحمل عائلة بأكملها، وترضي جميع الأطراف، تروي كل كبيرة وصغيرة عن حياتها.

**الشخص المتملك يتعامل مع زوجته وكأنها من بقية أشيائه الخاصة كملابسه، ويتعامل معها وكأنها جمادٌ لا يحق لها التعبير عن وجودها سوى معه فقط، ولا يحق لها الحديث مع أي مخلوق على وجه الأرض سواه، بل تتملكه رغبة في عزلها عن الكون وأخذها له وحده دون أهل، أو أصدقاء أو أخوة.

يمنعها من العيش في حياة طبيعية مما يشعرها بالضعف وكأنها ورقة بين يديه، يدفعها حين يمل ويضمها حين يشعر أنها ستتطاير من أمامه من نسمة هواء مرت أمامها.

جميعنا مختلفون؛ لكل منا حياة ومجتمع وأسرة مختلفة، مما يحدث صعوبة التكيف مع العيش مع شخصٍ آخر، ولا بد أن نبذل جهدًا كبيرًا لاستكمال حياتنا معه.

((كن حذرًا كي لا تصاب بهوس التملك وتصبح مريضًا يتوجب عليك تلقي العلاج لدى متخصصين، اعتدل في علاقاتك، وتريث في انتقاء من حولك كي لا تقع فريسة في يد شخص لديه هوس التملك يهلك روحك، ويستنزف قواك الداخلية في سبيل إرضاء رغباته في بقائك.

الفصل الثاني
((فتاة صالحة تدخلك الجنة))

وهنا سنتحدث عن حواء وعن ما يجب أن تُعلّميه لابنتك كي تعيش وسط المجتمع دون أن يعكر صفو قلبها أي شخص أو شيء، كي تطمئني وتنتظريها رفيقةً لكِ في الجنة إن شاء الله.

سأروي لكم كيف تأخذون بأيدي فتياتكم إلى الجنة

أصعب ما نمر به مع أولادنا هو سن الرفض لكل شيء، سن الاستقلال والغضب دون داعٍ، نعم هو سن المراهقة، وهي السن المتحكمة في تكوين الشخصيةً.

* في هذه المرحلة تتشكل شخصية الفتاة، هنا يأتي دوركِ إما أن تأخذي بيدها إلى بر الأمان، تكونين بمثابة صديقة لها أو تتركينها في طريق من الظلمات، تبحث عن من يروي عطشها للاهتمام والشعور بأنها أنثى جميلة تستحق أن تشعر بكافة المشاعر.

إذا نجحت الأسرة في تلبية احتياج الفتاة في هذه المرحلة، ستخرج إلى الحياة وهي في قمة قوتها راضية تمامًا عما تفعله، وعما يدور حولها.

_ الفرق ملحوظ بين فتاة تركتها والدتها لصديقاتها تفهم منهن كل شيء، وأخرى بذلت والدتها كل الجهد لتشعرها أنها متميزة وتوجهها بكل موقف بشكل صحيح.

هنا يأتي الاحتياج الحقيقي للأسرة، بعيدًا عن الاحتياجات المادية، الشعور بالأمان، غيره من احتياجات الحياة

الاحتياج للفهم هو الأعظم والأرقى في هذه المرحلة.

سؤال من إحدى الأمهات للفتيات في هذه المرحلة العمرية.

_يرتفع صوت ابنتي دائمًا فوق صوتي ماذا أفعل معها؟

تصرف غير مقبول من الفتاة لكن بالتأكيد وراء ذلك الكثير من الأهداف:

_أن تحقق ذاتها وتثبت أنها هنا ولها كلمة مسموعة.

_تتلقى دائمًا أوامر منك مما يشعرها أنك عدو لها.

_تشعر بالضعف ولا تجد نفسها بينكم.

*** حل هذه المسألة سهل وبسيط ***

_التقرب إلى الفتاة بشكل كبير ومشاركتها في أعمال المنزل، طلّتك، وإلقاء بعض المسئولية فوق عاتقها ونتحدث معها بكل ثقة أنها بالتأكيد ستكون على قدرٍ كبيرٍ من المسئولية وستتحمل ذلك كله.

*ببساطة اقتربي من ابنتك وكأنها صديقة لك ولا تتعجلي الأمور، فكل شيء تفعلينه سينبت في ابنتك زهرة جديدة تسعدين بها.

سؤال آخر

_منذ أن بدأت ابنتي سن المراهقة وهي دائمًا ما تجلس وحدها، لا تخرج من غرفتها. على الرغم من اهتمامنا بها وقربي منها.

هل هذا الأمر به خطورة على ابنتي أم هي مجرد مرحلة؟

_مرحلة وستمر، هي الآن انتقلت من طفلة إلى أنثى من وجهة نظرها، تشكل شخصيتها المستقلة وفقًا لما تحب أن تراه بنفسها. دعيها تكتشف نفسها، لكن بحدود بسيطة مع قليل من المراقبة والاهتمام كي لا تنقلب الأمور للشعور بالوحدة.

= تقلد ابنتي صديقتها في كل شيء سواء كان خاطئًا أم صائبًا، تراها مثلًا أعلى على الرغم من أن للبنت سلوكيات غير مقبولة هل أباعد بينهما؟

رغم وجودنا في المجتمع نفسه، ربما الأماكن السكنية نفسها التي تجمعنا، قد نكون عائلة واحدة، لكن تختلف عاداتنا وتقاليدنا، الطقوس التي نسير وفقًا لها.

* سأروي لك حكاية بسيطة كمثالٍ على ذلك:

قصة (كارلا ولوسيندا)

كلاهما في مرحلة الثانوية العامة، قررت أسرة لوسيندا أن تؤجل لها ثلاث مواد دراسية لعام آخر أي تقسم السنة نصفين.

أعجبت كارلا بالفكرة إلى حدٍّ كبيرٍ حين روتها لها صديقتها، أسرعت بإخبار أختها أنها أيضًا تريد أن تفعل مثل لوسيندا، لكنها فوجئت برفضٍ هائلٍ، وتعنيف لفظي لرفض هذا الأمر تمامًا.

غضبت وحين اخبرت لوسيندا برد الفعل هذا، ساندتها فشعرت أنها مقهورة من تصرف أختها، تراكمت الأمور على رأسها حتى ذهب الشيطان بها حيث الضياع والبعد عن أسرتها.

وحين جاءت الامتحانات تغيبت كارلا عن ثلاث مواد متتالية على الرغم من أنها كانت تخرج من المنزل.

وقبل نتيجة الثانوية العامة بيوم، كانت كارلا قلقة جدًّا ليس من نتيجة الامتحان، لكن من رد فعل الجميع على فعلتها هذه.

كانت صدمة كبيرة جدًّا حين رأى والدها، ووالدتها نتيجتها وكانت قد حصلت على درجات عالية في بعض المواد، ومواد أخرى كانت النتيجة (غ) لم تحضر الامتحان من الأساس.

أصيب والدها بجلطة قلبية من هول الصدمة، لكن والدتها أخذت الأمر بسلاسة كي تفهم منها لمَ فعلت ذلك، أين كانت وقت الامتحان؟

كانت الصاعقة لكارلا حصول لوسيندا على مجموع ٩٧ % وحضورها جميع الامتحانات. هنا أدركت أنها ضيعت عامًا من عمرها دون داعٍ وكل ما حدث لها كان سببه التقليد الأعمى.

روت كل ما حدث لوالدتها فما فعلت شيئًا سوى ضمة قوية كادت أن تهشم ضلوعها وهمست في أذنها:

((كانت صدمة كبيرة عليك يا صغيرتي، أرجوكِ استمتعي بالتجربة، تعلمي الدرس كاملًا كي لا يتكرر الخطأ))

تمت

لا بد أن ترافق الكثيرين في رحلتك في الحياة، لكن عليك أن تحسن الاختيار وتبحث عمن يشبه روحك ويتناغم معك في معظم الأشياء، فالصديق الحقيقي هو بديل لك، قد يتصرف بنفس طريقتك إذا وقع في مصيبة ما أو حل به سوء. يرد غيبتك، يستر عيبك، لن يغتابك مهما حدث ولا يقبل أن يتنازل عنك أو يخسرك.

تأنَّ في اختيار الأصدقاء، اصطفِ منهم البعض، ضعهم بخانة الأخوة بعد أن تتأكد أنهم يستحقون هذه الثقة، المنطقة التي وضعتهم بها.

لا يدخل هذه الخانة إلا من مر عليك شدائد كثيرة معهم فالصديق هو من يقف وراء ظهرك وأنت أضعف من اليرقة، يبتسم حين يراك سعيدًا، يتمنى لك كل خير، لن يغار من نجاحك أو يغبطك من حب البشر لك.

أحسن اختيار رفقاء دربك كي تترك بصمة في الحياة وعملًا صالحًا مستمرًّا بدعائهم لك.

☆ ننتقل إلى نقطة أخرى وهي

*** كيف نتفادى تعرض الفتاة للخداع العاطفي للفتيات؟**

(حدث بالفعل)

تروي أمٌّ عن ابنتها التي جاءت إليها وبكل ثقة قالت لها:

_ صديقتي تحب شابًّا ويريد أن يخرج معها وسط مجموعة من الزملاء، هي ترتاح لوجوده لأنها ترى أنه مهتم بها إلى حد يشعرها بالسعادة.

غضبتِ الأم من حديثها خاصة أنها لم تفصح عن اسم صديقتها وازداد الشك بداخلها أن ابنتها هي التي تحب وهذه قصة اختلقتها من وحي خيالها وبعبوس وجه قالت:

_ هذه الفتاة غير محترمة، أقسم لك إن فعلتِ شيئًا مثل هذا لأحطم رأسك.

الذي اثار انتباه الأم هو أن ابنتها لم تعترض أبدًا، بل صمتت تمامًا وامتنعت عن الحديث معها مرة أخرى، قد تكون فقدت الأمان والثقة في الحديث معها عن شيء خاص.

هل أخطأت الأم؟

سأقوم بتوزيع أوراق للجميع وكل منكم يدلي برأيه في تصرف الأم بكلمة (نعم) أو (لا)؟

وأنت أيضًا أيها القارئ أريدك أن تكتب رأيك قبل أن تقرأ ما يلي..

(نعم)......

(لا)

بعد حصر إجاباتكم تبين أن نسبة كبيرة ترى أن الأم على حق وتعاملت مع الموقف بشكل جيد. لكن في الواقع أنها خسرت ثقة ابنتها ومدى الأريحية في الحديث معها حين تعاملت بقسوة، كان من الممكن أن تتقرب لها وتستغل هذه الفرصة لتتحدث مع ابنتها عن هذه المرحلة العمرية، لتتفادى السقوط فريسة للخداع العاطفي.

على كل أم أن تفهم ابنتها جيدًا.

_ لكل شيء أوان.

_المشاعر في هذه المرحلة تكون غير واضحة وتتحرك تجاه أي شخص يهتم بها.

_ احتواء البنت والاهتمام بمشاعرها كي لا تبحث عن الأمان خارج نطاق الأسرة.

** كنت أتمنى أن تجيب الأم على الفتاة:

((انصحي صديقتك ألا تفعل أي شيء دون علم والدتها، اعلمي يا ابنتي أن أي شيء تفعلينه ولم تخجلي أو تخافي أن يعرفه أحد هو صحيح تماما، حين يتطلب الأمر الكذب، التخلي عن المبادئ، حين تخجلين أو تخافين من فعلتك اعلمي حينها أنك على طريق غير صائب))

جمال الفتاة في وضوحها وبراءتها

الصدق يجعلكِ كالشمس واضحة، هادئة، دافئة ومضيئة...

وبهذه المناسبة سأروي لكم قصة تذكرتها حدثت بالفعل صوب عيني.

بطلة هذه القصة تدعى كارين وهي فتاة من منطقة شعبية لأسرة متوسطة، لديها مشكلات أسرية كبيرة، لأنها لا ترى أي مراسم احترام بين والدها، ووالدتها. مما دفعها ذلك أن تتهاون في صنع مسافة من الاحترام بينها وبين والدها لتتسع الفجوة بين أفراد الأسرة.

أحبت كارين شابًّا من نفس الحي الذي تعيش فيه، كانت تسرق الوقت لتتحدث معه في الهاتف، تقابله دون علم والدتها.

مرت الأيام وعرفت والدتها العلاقة التي تربط بينهما، فكشفت عنها أمام عائلتها، باتت تعاير ابنتها بهذه الفعلة، تناديها بالساقطة، المجرمة، عاشقة الرجال.

حين سمعت خالة البنت الأم تناديها بهذه الكلمات المؤذية نفسيًّا، أخذت تنصحها أن تغير طريقة تعاملها مع ابنتها وتحاول الاقتراب منها لأن اللوم لن يجني أي شيء سوى ابتعاد الفتاة عنها، والانسياق وراء الشاب لاعتباره الجانب المريح في الحياة، الذي يناديها بكلمات رقيقة، يعاملها كأميرة ليست طفلة مخطئة، تجد الخصوصية معه التي تفتقدها كثيرًا مع أسرتها.

اقتنعت الأم بحديث أختها فغيرت طريقة التعامل مع ابنتها.

بعد مرور أيام معدودة، جاءت كارين لتتحدث مع والدتها وطلبت منها ألا تذهب إلى المدرسة يوم الخميس، وافقت الأم

على مضض، لكنها تعجبت؛ لم تطلب كارين هذا الطلب أبدًا ودائما ما تحب الذهاب إلى مدرستها.

سألتها عن السبب، فأجابت بدفء:

- ستخرج زميلاتي مع أولاد وأنا وعدتك يا أمي ألا أخرج مع وليد أو أراه مرة أخرى إلا بعد أن تتحدث معه والدتك وتكون بيننا خطبة رسمية.

شكرت الأم أختها وحاولت أن تغير طريقة تعاملها مع ابنتها، وزوجها أمام أولادها.

ما هو الارتباط؟

الارتباط هو شيء معقد، غير مفهوم في كثيرٍ من الأحيان، قد تشعر بالمشقة في مشوار البحث عن شريك حياتك، لكن هذه هي الحياة وحتى تكتمل معالم حياتك لا بد أن تحظى بشريك يناسبك لتقضي معه المتبقي من عمرك...

فيما معناه أن الارتباط الحقيقي هو الزواج

وبداية كل علاقة حب تكون بالزواج، حين تختارين شريكًا لحياتك عليكِ أن تتريثي تمامًا وتحسني الاختيار، فقبل أن يكون مناسبًا لكِ اجتماعيًّا، وماديًّا، لا بد أن يكون هناك توافق روحي بينكما، تكونين على قدر عالٍ من الثقة به، إنك ستكملين الوقت المتبقي من عمرك في كنف هذا الرجل.

من الصدمات التي تواجه الفتيات بعد الزواج هي:

_تغير طباع الطرف الآخر.

_الأمومة المفاجئة

_وجود عائلة أخرى لها، وهي مطالبة بإرضائهم.

أولًا: تغير طباع الطرف الآخر

بعد فترة من العيش معًا كزوجين، تتبدل بعض الأمور، تُزال الأقنعة. لا يعني ذلك أننا نعيش معًا تحت ستارٍ من الزيف

والخداع، لكن دائمًا ما يكون هناك حاجزٌ، قد يكون حاجز خجل، خوف، إلى غير ذلك.

يجعل كل منهما يخفي بعض الطباع والتصرفات.

حين تختارين شريكًا لحياتك تأكدي أنكِ متقبلة لعيوبه بنسبة ٧٠%، لأن هذه لم تكن العيوب كاملة، هناك عيوب خفية لم تظهر بعد، إذا كنتِ عاجزة عن تحمل هذه العيوب، أو أنها كافية تمامًا لن تستطيعي تحمل عيبٍ آخر به، اتركيه على الفور دون جدال أو تفكير.

الأمومة المفاجئة

ثانيا: الأمومة المفاجئة

الزواج ليست مجرد فستان أبيض ترتدينه، وتلتقطين صورًا رائعة لتتداوليها مع صديقاتك، أو سباق بينكن من تتزوج أولا كونها أجمل، لا بل مقياس الزواج الأول هو قوة تحمل الشخصية، نضوجها لتتحمل المسئولية.

تتفاجأ بعض الفتيات بعد فترة قليلة من الزواج، أنها أصبحت في أقل من سنة على مشارف الأمومة، تحمل في داخل أحشائها طفلًا من لحم ودم ستكون مسئولة عنه مسئولية كاملة.

إذا كانت فتاة ناضجة فسوف تسعد كثيرًا بهذه المنحة الربانية وتحافظ على حملها بكل ما تملك من صحة، وقوة، كما تحافظ على بيتها، أسرتها، كي لا يأتي لهذه الحياة طفلٌ يعيش دون أب وسط مهاترات وخلافات عائلية.

أما إذا كانت فتاة غير مسئولة فسوف تتشتت وسط الطريق، إما أن تتحمل إجهاد الحمل وتقع فريسة لاكتئاب الحمل، أو أنها تتمنى أن يعود بها الزمان.

وكأنها تعاتب روحها

(ما هذا الذي فعلتُه في نفسي؟ كيف سأتحمل كل ذلك وحدي، هل سيكون طفلي بخير، هل سأتحمل أن أستكمل عمري مع هذا الشخص؟

وبعد مزيد من التساؤلات قد ينجح كل منهما في استكمال حياته، هي فقط إرادة من الله I.

من المصاعب التي تواجهها الفتاة في بداية حياتها الزوجية هي وجود عائلة أخرى لها وهي ((عائلة الزوج)) عليها أن تحترمهم، تعاملهم كعائلتها تمامًا، لكن هناك بعض العوائق، والأمور التي تجعل وجودهم مرهقًا نفسيًّا لها.

*** التدخل الزائد في حياة ابنهم وزوجته**

يظن بعض الأهالي أن من حقهم معرفة كل شيء عن حياة أولادهم، أن يتدخلوا في كل كبيرة وصغيرة، دون العلم أن كل هذا سيهدم بيت ولدهم مع الوقت، وهنا يأت دور الزوج، هو فقط بيده أن يضع حدًّا لكل شيء، كل شخص يحاول التدخل في حياته دون أن يغضب أهله، أو يكون عاصيًا لهم. فهو من يمسك بالعصا السحرية التي تزن الأمور وتجعل حياته مستقرة، العاتق

يكون كبيرًا على الزوج حين يعيش مع عائلته في المكان نفسه، تتزايد المشكلات، يصعب عليه إرضاء كل من زوجته، وأهله.

لكن بعد مرور فترة من الوقت تتحسن الأمور حين يتعايش الجميع معًا، يعتاد كل منهما على طباع الآخر.

سنة أولى أمومة

ليست ككل البدايات، فبداية وجود إنسان معك بالمكان نفسه يربكك كثيرًا، يضع مسئولية كبيرة فوق عاتقك.

الآن تصبحين مسئولة عن روحٍ من لحم ودم.

لكن هل يصمت الجميع؟

هل يتركك المجتمع للتعايش مع هذا الشق من الحياة؟

الآن هي بصدد تحمل مسئولية بيت، أسرة، طفل، زوج

الأمر مرهق جدًّا..

ومن الكلمات التي تتسبب في انهيار الأم في هذه الفترة:

_ ابنك ينام في وقت متأخر بالتأكيد اعتاد على ذلك أنت من فعلت به هذا.

((إنسانة تنام فقط لسويعات قليلة لا تقوى حتى على غسل وجهها أو الاهتمام بنفسها كإنسانة، تتحمل مسؤولية طفل يبكي بجوارها طوال الوقت، وبالتأكيد ستنهض كي ترضيه، تطعمه أو تبدل ملابسه، تمارس أمومتها على أكمل وجه.

هي ليست لها حاجة لهذا التنظير أبدًا

عليك بالصمت كي لا تغضبها، رفقًا بالقوارير..

_ طفلك نحيف جدًّا ألا تطعمينه؟

نحن لسنا في سباق، كل طفل به صفات مختلفة عن الآخر قد يتميز طفل بكلماته الواضحة، يحبو بسرعة، يأكل بشكل جيد، فالسن الصغيرة ليست مقياسًا أبدًا لمدى نضوج الطفل أو غيره، هذه الفترة متغيرة عليك بالطفل إذا لم تتمكن من محاولة التخفيف من ألم الأم.

_ أصبحتِ عصبية جدًّا في الفترة الأخيرة

بالتأكيد ستكون عصبية، ماذا عن إنسانة تحملت تسعة أشهر من التعب، الخوف، القلق ثم باتت أمًّا لطفل؟ شيء جديد جدًّا عليها كإنسانة فلا تلوموها على قلة تركيزها أو عصبيتها الزائدة.

_ازدياد الوزن بعد الولادة

فترة من التغيرات في الهرمونات، يزداد بها الوزن حوالي عشرة كيلو جرامات على الأقل، حسب طبيعة كل إنسانة، فبالتأكيد هي ليست بحاجة لسماع كلمة منك بخصوص وزنها الزائد الذي يرهقها نفسيًّا فكن رحيمًا.

_اكتئاب ما بعد الولادة

يأت هذا النوع من الاكتئاب، إذا لم تحظَ الأم بالاهتمام الكافي ممن حولها، للزوج دور كبير في مؤازرة زوجته كي لا تقع فريسة لهذا الشبح (شبح الاكتئاب)

الاكتئاب كالكلب الأسود الذي يجري وراءك بكل قوته كي ينهش روحك، لتتخلى عن ثباتك وصمودك.

عليكِ باستغلال هذه الفترة بشكل جيد وعدم الاستماع للكلمات السلبية التي تفقدك لذتها، لذة المكوث بجوار طفل لا يعرف في الحياة سواكِ، لا يطمئن سوى بين ذراعيك فهو يعرفكِ جيدًا، يعرف رائحتكِ، يشعر بأنفاسكِ فكوني له أمًّا يصبح لك عصا، طوق نجاة حين يمر بك العمر، وتتبدل الأمور، لكن قد تساعدك والدتك لتخطي هذه الصعوبات، لكن إن كنتِ وحدكِ بلا أخت، أو أمٍّ، أو صديقة مقربة أو أم زوجكِ تراكِ كابنتها سيكون الأمر صعبًا جدًّا.

آداب الزواج

إن للزواج آدابًا مثل آداب الطعام وآداب الاستئذان وغيرها، وقد نختصر هذا الفصل بشكل أدق ونتكلم عن آداب العلاقات بشكل عام.

ومن هذه الآداب:

_ألا تذكر مساوئ من كنت على علاقة معه، سواء كانت علاقة ارتباط، صداقة، زواج أو خطبة.

_ ألا تفشي له سرًّا مهما وصلت حدة الخلافات.

* من أسوأ الصفات حين يستهل البشر الخلافات بإفشاء أسرار بعضهم البعض.

فمن أعطى لقلبك الأمان، تحدث معك بأريحيه لا تخذله أبدا وتكسر خاطره.

لمجرد انتهاء علاقتكما فحينها الكسر أشد من القتل

_لا تذم في العلاقات بشكل عام لأنه من الطبيعي والمنطقي أن يفهم الجميع أنك تقصد من كنت على علاقة معه وأنه وحده من جعلك تكره التقرب من أي شخص آخر.

مراعاة مشاعر الآخرين أسمى صفة بين البشر فتحلَّ بها لتحلو لك دنياك فيعوضك الله خيرًا مما تتمنى.

_حين تدخل في علاقة أخرى لا تتحدث مع شريكك عن تجربتك السابقة بشكل تفصيلي يكفيك قول (ما حصلش نصيب)

*****أما عن آداب الزواج**

في هذه الفترة نحن في مجتمع قاسٍ إلى درجة كبيرة، بعد أن تختار بعض الفتيات شابًّا لتستكمل معه المتبقي من عمرها وتكون راضية تمام الرضا عن وظيفته، أهله، مستواه المادي الذي يقل عن مستواها بعض الشيء.

تمر سنوات على الحياة بينهما، فتتبدل الأحوال، تتغير الأمور وتكتشف فجأة أنه شخص غير مناسب، وعلى غرار ذلك سأروي لكم **قصة (بهيرة والخفيرة)**

فتاة جامعية على قدر عالٍ من الجمال والثقافة، من أسرة متوسطة ماديًّا، أحبت شخصًا من أسرة فقيرة، تعليمه متوسط، يتيم الأب، ربته والدته هو وإخوته، عملت بمستشفى كعاملة نظافة حتى أخرجت لهذه الحياة أربعة رجال قادرين على تحمل المسئولية.

بهيرة أعجبت جدًّا بهذا الشخص الذي يبالغ في الاهتمام بها، يعطيها ما تحتاجه لإرضاء غرورها كفتاة مراهقة، لم تهتم حينها بشيء أبدًا ولم تفكر سوى بالارتباط دون أن تلتفت لتوابع هذه العلاقة.

تقدم لخطبتها، رفضت أسرتها؛ كيف وهي في الجامعة وهو أقل ماديًّا، واجتماعيًّا، شخص غير مناسب من زاوية رؤيتهم للحياة.

عارضت الجميع وأصرت على الارتباط به، وبالفعل تزوجته.

بعد مرور ثلاث سنوات من الزواج بدأت تعاني من ضيق الحا، المشكلات الزوجية الطبيعية التي يعاني منها كل من يعيشون وراء حائط واحد.

وفي أول خلاف مع والدته، وجد بهيرة تصدمه بكلمات عن أمه لا تتحملها آذان على وجه الأرض.

قالت بمنتهى القسوة:

_هل نسيت والدتك من أكون ومن هي؟

بتلقائية كبيرة:

_هي أمي وأنتِ زوجتي ولا أقوى على فقد شخص منكما.

ضحكت بسخرية:

_لكنني ابنة طبيب وهي خفيرة.

بحزن يكفي الكون وأكثر:

_أمي ليست خفيرة يا بهيرة، هي تعمل عاملة نظافة بمستشفى.

قاطعته ساخرة:

_نعم، نعم نسيت أنها خادمة ليست بخفيرة، وأنت مجرد عامل لن تتعدى خادمًا لدى والدي.

وهنا اغرورقت عيناه بالدمع، بيته يهدم صوب عينيه، نظر إلى طفله وهو ينطق:

- (أنتِ طالق)

وعلى الفور أخرجها من عصمته

ولذلك اختيار الأنسب في العلاقات يفوق اختيارات القلب، فمن تجده يملك نفس اهتماماتك، وطباعك، راضيًا عنك أكثر مما يحمله لك في قلبه لا تتردد أبدًا في التقرب منه، والارتباط به.

الاهتمام هو مفتاح الحياة، كأنه نافذة تقتحم بها قلوب الآخرين.

* الوسطية في العلاقات

من أهم ما نسعى أن نعززه في أذهان الفتيات هي الوسطية في العلاقات، ففي مجتمعنا العربي، تميز بعضُ الأسر الذكور عن الإناث، مما يجعل الفتاة تعتاد على التفاني في إرضاء من حولها، بل تتلذذ في إهدار روحها حتى تحظى بمعاملة حسنة منهم، وتنال رضاهم، فالفتاة هي من ترتب المنزل لأخيها الذي يتسامر مع أصدقائه، تحضر الطعام لكافة أفراد الأسرة، تساعد والدتها في كل كبيرة وصغيرة في المنزل. وحين تفكر في نفسها قليلًا، وتطلب بعض المطالب الطبيعية لأي شخص يراها الجميع مذنبة، متمردة خارجة عن المألوف، مع الاستمرار في إلقاء كلمات اللوم على مسامعها كي تشعر بالذنب وتتنحى عن حقها كإنسانة في هذه الحياة.

وهذا مثال بسيط على ما تعاني منه الفتيات في مجتمعاتنا العربية.

لن نجني من هذه العادات شيئًا سوى الهلاك، ونخرج للمجتمع شخصًا ضعيفًا، مستعدًا أن يتنازل عن حقه، يهلك نفسه مقابل نظرة رضا فقط من الآخرين، أما نتيجة ذلك تكون دائمًا كارثية.

ستتحمل وتتجمل حتى ينفد صبرها، تستيقظ من غفلتها عن نفسها، إما تتمرد على هذا الوضع وتتعامل بحدة مع الجميع، وترفض الوضع الحالي قلبًا وقالبًا أو تغرق في عوالم الأمراض النفسية، وتعيش وحدها بعالمها الخاص دون أن تبدي رأيها لأي مخلوق.

لم يكن هذا ضعفًا منها بل خوفًا من المجتمع.

ماذا عن إنسان كلما أدلى برأيه قوبل ذلك بالرفض، والسخرية.

على عكس بعض الأسر التي تدلل الفتيات، تطلق لهم الحرية الكاملة لكافة التصرفات دون مراقبة أو وضع حدود لأي شيء مهما كان.

وكل ذلك وراء ستار واحد وهو الثقة.

لا بد أن تثقي بابنتك، لكن عليكِ أن تعطيها بعضًا من وقتك كي تروي لها قصصًا من الحياة عن العلاقات والوسطية بها، عن الارتباط، الأصدقاء، فاختيار الطريقة الصحيحة لإيصال المعلومة والضغط على الشق الذي يجذب الشخص من أهم عوامل التربية.

فمن الممكن أن تكونين أمًّا لكثيرين، لكن مع كل منهم تشكلين شخصية تناسبه كي يقتنع بكل ما تقولين، تتقربين منه بالطريقة المناسبة لما يحب في هذه الحياة.

وأكبر مثال على ذلك من واقع الحياة هي قصة قصيرة جدًّا من واقع حياتنا ((حدثت بالفعل))

ليتني ما أحببت

فتاة في منتصف العشرينيات تزوجت من شخص يكبرها بأعوام قليلة، أحبته بصدق فاق الخيال بعد ما أظهر لها كم هو هائم بها، متمسك بالزواج منها رغم رفض الجميع، تصدى لأهله كما أنه غير العادات والتقاليد الخاصة بعائلته لأجلها.

سنوات مرت على زواجهما وهي تتفاني في إرضاء هذا الشخص ليس إرضاءه فقط، بل فعل كل ما يرضيه وعائلته بالكامل، تحملت مصاعب كبيرة في الحياة.

بعد عشرين عامًا من حياتها مع هذه العائلة، مرضت كثيرًا، انتظرت منه أن يقف بجوارها ويرد جزءًا بسيطًا مما فعلته له ولأهله لكن النتيجة كانت صادمة للجميع، ساندوه ليتركها وحيدة، يرسلها لبيت أهلها مرة أخرى

ماذا بعد أن فعلت كل شيء كي تتمسك به؟

لا شيء

ما هي نتيجة خوفها من الفراق ومحاولاتها المستميتة لإثبات ولائها وحبها للجميع؟

أيضا لا شيء.

على عكس إنسانة تعتدل في كل شيء تعطي الحب، تحاول كسب ود الجميع لكن دون المساس بكرامتها أو فعل ما لا تستطيع فعله.

فالاعتدال هو أصل كل شيء سواء بين الأصدقاء، الأخوات، الأزواج.

*****

((ضحية المثالية))

كل منا يسعى إلى التميز والمثالية، لم يكن ذلك بأيدينا بل هو وليد الظروف الحياتية، والأخطاء الأسرية.

منذ الصغر نبحث عن ملابس مميزة لأطفالنا، كي لا يكون أحد مثلهم، وحين يذهبون إلى المدارس نتهافت على إلحاقهم بمدارس مختلفة عن غيرهم، طوال الوقت ونحن نقارنهم بغيرهم لبث روح الحماس بداخلهم، نحزن حين يكون تحصيلهم الدراسي أقل من غيرهم وكأنّ هذا أهم ما في الحياة بل نعاقبهم على خسارة درجة واحدة، وهذا فقط لنرضي رغبة بداخلنا أننا أحسنا تربيتهم ونستحق لقب الأم المثالية، أو الأب المثالي.

———

في كل أسرة بيننا يوجد كبش فداء هو من يتحمل أخطاء كافة أفراد الأسرة

*** حدث بالفعل***

اعتادت فتاة أن تتحمل مسئولية أفراد أسرتها؛ كبيرهم وصغيرهم.

تحاول طوال حياتها فقط أن تقضِي على أي نزاع بينهم، كانت تسعى للعيش برخاء وسط أسرة هادئة، وكانت النتيجة مهلكة نفسيًّا لها.

أعد الجميع أنها هي المخطئة حين تفشل في حل مشكلة واحدة لهم، يعدها والدها المسئول الأوحد عن أخطاء الجميع، دون الالتفات للحظة لمشاعر هذه الإنسانة وأنها أيضًا تحتاج إلى مساحة ولو صغيرة من الجنون في حياتها.

تحتاج أن تخطئ، وتتعلم، يتم توجيهها مثلهم لكنها حصرت في دور المثالية وباتت تسمع طوال حياتها هذه الجمل المؤلمة:

_لم أربّكِ على هذا.

_لم أتوقع منك ذلك.

_لا أصدق أنك تخطئين.

حين تلقي هذه الكلمات على مسامع ابنك /ابنتك

فأنت توجه لها رسالة غير مباشرة أن يسعى للمثالية طوال حياته، وكأنه في حرب مع نفسه، يسابق الوقت، ويجري في تراك الحياة فقط كي لا يكسر توقعاتك.

علينا أن ندرك أن لكل منا مزايا وعيوبًا، نسعى دائمًا للأفضل، دون أن نختار أحدًا منا ويكون هو ((ضحية المثالية)).

((الـنـهـايـة))

((في النهاية شكرًا لكل من قرأ الكتاب
ووصل إلى هذه الصفحة الأخيرة))

أسألكم الدعاء لوالدتي بالرحمة وأن يتقبل الله مني صالح الأعمال كي أكون لها ((رفيقة في الجنة)) إن شاء الله.

وأتمنى أن يكون في ميزان حسنات والدتي وأن أرافقها في الجنة.

((رفيقتي في الجنة))

*****

٧